بدء أعمال ندوة الانعكاسات الأخلاقية لأبحاث علم الوراثة

تنظم كلية العلوم بجامعة قطر

جانب من الجلسة الافتتاحية للندوة

اكد الدكتور عبد الله جمعة الكبيسي مدير جامعة قطر بالانابة انه على الرغم من ضرورة الاستفادة من نواتج الاكتشافات العلمية فإنه يجب ان نأخذ مايتناسب مع تقاليدنا وأعرافنا.. وان نرفض مايتعارض مع ديننا الاسلامي.

واكد سعادة الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجرى مدير عام المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ان الاسلام في جوهره الأصيل دعوة مستمرة للعلم ونداء موصول للمعرفة وان الاهتمام الذى تبديه المحافل العلمية في العالم الاسلامي يعتبر استجابة للتحديات التي يطرحها العصر.

وقال السيد عبد العزيز فرج الانصارى الامين المساعد للجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ان التقدم التكنولوجي غير الموجه وغير المنضبط يخلق اشكالا هائلة من المشاكل والمنغصات التي تظل دائما عاملا من عوامل عذاب الانسانية.

جاء ذلك امس في الجلسة الافتتاحية لندوة «الانعكاسات الأخلاقية للابحاث المتقدمة في علم الوراثة» التي تعقد في رحاب جامعة قطر وتنظمها كلية العلوم بالتعاون مع المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة وجمعية الدعوة الاسلامية العالمية.

حضر الجلسة الاستاذ الدكتور جابر عبد الحميد جابر وكيل الجامعة والدكتور عبد الرحمن حسن الابراهيم الأمين العام للجامعة وعدد كبير من عمداء الكليات ومديرى مراكز البحوث التابعة للجامعة.

د. عبد الله الكبيسى: نشجع الاكتشافات العلمية ونرفض مايتعارض مع ديننا الإسلامى

د. عبد العزيز التويجرى: الإسلام فى جوهره دعوة مستمرة للعلم والمعرفة

عبد العزيز الانصارى: التقدم التكنولوجى غير المنضبط يخلق مشاكل هائلة

قال الدكتور عبد الله الكبيسي في بداية كلمته: تأتي اهمية هذه الندوة من اهمية الموضوع الذى تتصدى له، فلاشك ان البعد الخلقي من الابعاد المهمة التي يجب ان نحرص على ممارستها في جميع اعمالنا، ونحرص على غرسها في نفوس ابنائنا، وعندما وصف الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم قال: «وإنك لعلى خلق عظيم» وقال ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» والبحث العلمي بوصفه نشاطا إنسانيا يدعو الى استخدام العقل. وتسخيره في التفكير والتدبير أمر محمود في ديننا، بل ان الإسلام يشجع عليه، ويحث المسلم على التفكر والتذكر والتعقل، وقد خلق الله الإنسان، ومنحه العقل ليفضله به على سائر المخلوقات.

وقد دعا الاسلام الى البحث العلمي، ولم يضع قيدا على العقل الانساني ليجتهد ويتأمل ويتدبر، وقد كان المسلمون عندما اجتهدوا وبحثوا صناع حضارة واصحاب علم اخذ عنهم الغرب في كل المجالات، ومنها الطب والرياضيات والفلك والكيمياء والعقاقير وعلوم الحياة.

واستطرد قائلا: وعندما تجتمعون هنا لتتباحثوا في المشكلات المترتبة على البحوث الحديثة في مجال علم الوراثة فإن ذلك أيضا نابع من منطلق اسلامي رشيد، ذلك ان الاسلام شجع دائما العلم النافع الذى يكون فيه للانسان نفع وللبشرية خير «فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» وقد اكد الاسلام دائما على اخلاق الباحث واخلاقيات البحث وكلاهما وجهان لعملة واحدة، فالبحث يجب ان يتجه للتعمير والتطوير والمحافظة على البيئة التي خلقها الله فأحسن خلقها، والبحث إذا انحرف عن وجهته الخيرة ومسيره التطويرية فليس ببحث نافع ويجب ان نتحرر منه انتاجا واستهلاكا معا.

يعتبر موضوع الندوة من اكثر الموضوعات إثارة والتي يستحق تناولها اكثر من ندوة، سواء من جوانبها العلمية اوالاجتماعية اوالاخلاقية اوالثقافية، فعلم الوراثة له ارتباط وثيق بالانسان. فالوراثة قديمه منذ ان خلق الله الانسان. وبدأ الانسان في التعرف على طبيعتها وعلى كيفية انتقال الصفات من الوالدين الى الاجيال

تابع الندوة - خيرى نور الدين:

اللاحقة. ومن خلال هذا العلم بدأت البشرية تجني ثمار العلماء، فظهرت الاصناف الجديدة من النبات والحيوان. كما ادى ذلك الى ظهور مايسمى بالثورة الخضراء التي ظهرت في حقبة الستينات والتي ادت الى اظهار الاصناف الجديدة من القمح والارز وغيرهما، لتسد فجوة الأمن الغذائي في كثير من دول العالم الثالث.

وقد تقدم علم الوراثة تقدما كبيرا في الآونة الاخيرة عندما استفاد العلماء من افرع العلوم الاخرى كالخلية والكيمياء والفيزياء وغيرها فاحدثت مفهوما جديدا لمعنى الوراثة، حيث امكن التعرف على طبيعة المادة الوراثية والمورثات التي تتحكم في صفات الفرد، الى ان بلغت ذروة التقدم في التحكم في انتقال المورثات من خلية الى اخرى ومن كائن الى آخر. اومايعرف بالهندسة الوراثية. وقد صاحب ذلك ظهور التقنيات الجديدة والاكتشافات المذهلة في مجال علوم الحياة. ويمثل هذا التقدم في مجال علوم الوراثة الحديثة اهمية علمية كبرى لاتقل في اهميتها عن انشطار الذرة اوالتقدم الذى حدث في مجال الالكترونيات وحينما يستغل الانسان هذه الاكتشافات بطريقة عاقلة فإنها سوف تسهم في تحسين حياة الانسان عن طريق انتاج مستحضرات طبية جديدة، اونباتات جديدة للزراعة اوفي مجالات عديدة في الطب اومصادر جديدة لدفع صناعة الكيماويات. اما اذا استخدمت بصورة سيئة فسوف يكون لها آثار ضارة ووخيمة على نوعية الحياة وعلى انماط القيم ونماذج السلوك.

ان هذه الاكتشافات الحديثة والتطبيقات المختلفة لعلوم الوراثة في الانسان وخاصة فيما يتعلق بتحريك المورثات بين الكائنات والعلاج الوراثي، قد يكون لها انعكاسات اخلاقية كثيرة وتمثل الموضوع المحورى في ندوتكم هذه. حيث ان ذلك سوف يؤدى الى احداث ثورة وتحول في التقاليد والاتجاهات فنحن بلاد عربية اسلامية لنا تقاليدنا واعرافنا وديننا الاسلامي الحنيف. وبالرغم من انه يجب علينا الاستفادة من نواتج الاكتشافات العلمية فإن علينا ايضا مسئولية ان نأخذ مايتناسب معنا، ونرفض مايتعارض مع ديننا الاسلامي.

التنمية الحضارية

ثم تحدث الدكتور التويجرى قائلا: ان من متطلبات التنمية الحضارية الشاملة التي يفرضها واقع العالم الاسلامي وتمليها حاجاته الملحة، اعطاء موضوع التقدم العلمي الاهتمام الذى يستحقه. ولقد كان هذا الموضوع دوما في مقدمة الاهتمامات التي تشغل المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ولذلك جعلت من البرامج الرئيسية في قطاع العلوم ضمن خطة العمل الثلاثية الحالية التي ابتدأت في العام الماضي وتنتهي في نهاية عام ١٩٩٤ برنامجا يحمل عنوان «العلم والتكنولوجيا والمجتمع في مواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين» تتفرع عنه برامج تفصيلية متخصصة منها البرنامج التي تدخل هذه الندوة في اطاره، والذى يحمل عنوان: «التقدم العلمي والتكنولوجي وآثاره الاخلاقية» وتندرج في سياق هذا البرنامج قضايا وموضوعات على جانب كبير من الاهمية منها دراسة الجوانب الاخلاقية التي تثيرها التطورات المستجدة في مجال العلم والتكنولوجيا، وتحليلها على ضوء المفاهيم الاسلامية والقيام بتوعية شاملة بالآثار الاخلاقية المترتبة على الابحاث العلمية الحديثة في مجالي علم الاحياء وعلم الوراثة، لما لهذه الموضوعات والانعكاسات الناجمة عنها من آثار على البيئة والانسان والمجتمع، وعلى مايسود المجتمع الاسلامي على وجه الخصوص من قيم ومبادىء ومثل، هي اساس كيانه المعنوى ووجوده الفكرى والثقافي والاخلاقي والحضارى على وجه العموم.

ولقد وضعت المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة في مقدمة الاهداف التي خططت لها من وراء تنفيذ هذا البرنامج، ابراز الموقف الاسلامي السليم ازاء التطورات العلمية الدقيقة، خاصة في الفروع المتعلقة بعلمي الاحياء والهندسة الوراثية، على ضوء الفهم المستنير لمقاصد الشرع الحنيف من جهة، والوعي الرشيد بالضرورات الانسانية التي تقدر بما تحققه للانسان من تقدم حقيقي، وبما تقدمه للمجتمع وللحياة الانسانية عموما من خدمات وتيسيرات ترفع عبء المعاناة عن كاهل الانسانية من جهة ثانية، بالاضافة الى اثبات الحضور الاسلامي في الساحة العلمية من خلال المشاركة الفاعلة في الجدل العلمي الذى يدور على مستوى العالم كله حول هذه الموضوعات العلمية الدقيقة والمتشعبة.

وان دراسة القضايا المتعلقة بهذه الموضوعات من موقع التخصص العلمي على تشعب فروعه وتنوع حقوله، لمن شأنها ان تثرى الحياة العلمية بخلق الوعي العلمي المستنير الذى يساهم في حل المشكلات المترتبة على التطور المتلاحق للعلم في جميع تخصصاته حلا موضوعيا يلبي رغبات الانسان وحاجات المجتمع.

وإذا كان الاسلام قد وضع القواعد العامة للحياة الانسانية الكريمة، وكفل سعادة الانسان في الدارين، بما أتى به من مبادىء سامية ومثل عليا ومنهج حياة متكامل، فإنه حض على طلب العلم واتقانه، وحث على الجهد والاجتهاد والتفوق والنبوغ فيه، وجعل للعلماء في مختلف فروع النشاط العقلي الانساني منزلة رفيعة، وفتح امام العقل آفاق المعرفة غير المحدودة بزمان اومكان. وعلى هدى هذه التعاليم اقام المسلمون صروح الازدهار العلمي، وشيدوا حضارة انسانية شامخة، وفتحوا الدنيا، وعلموا الانسانية كيف تبحث عن حقائق الكون، وكيف تهتدى الى المعرفة الشاملة المحيطة بدقائق الحياة.

ان الاهتمام الذى تبديه المحافل العلمية في العالم الاسلامي بالقضايا العلمية ذات الصلة بالتطور الذى تعرفه حقول العلوم الدقيقة، وفي مقدمتها الهندسة الوراثية، ومايتفرع عنها من علوم تابعة، يعتبر في حقيقة الأمر، استجابة للتحديات التي يطرحها العصر، وتعبيرا عن النهضة الحضارية التي اخذت تباشيرها تلوح في الأفق، على الرغم مما يسود المجتمعات الاسلامية اليوم من مشكلات ناتجة في جوهرها عن الصراع مع العوامل الذاتية والموضوعية التي تعوق جهود التنمية.

ولاشك ان مثل هذه الندوات العلمية الكبرى وان كانت تلبي حاجة ملحة يفرضها تطور الفكر العلمي الحديث، فإنها تستجيب لسنة الله في الكون والحياة، ذلك ان الاسلام في جوهره الأصيل، دعوة مستمرة للعلم، ونداء موصول الى المعرفة، وهو دين الفطرة السوية التي لاتجافي التقدم الذى يخدم الانسان في المقام الاول.

د. ابراهيم النعيمى: الاكتشافات الأخيرة لعلم الوراثة تشكل تحديا مشوقا ومثيرا

تساؤلات هامة

وقال السيد عبد العزيز فرج الانصارى في كلمته انه على الرغم من الاضاءات المبهرة التي تلمع في سماء هذا العلم الحديث نسبيا في عالمنا الاسلامي، ومايمكن ان يقدمه من حلول تشبه المعجزات لعدد من مشاكل حياتنا الصحية الاكثر تعقيدا كمشاكل العقم، والتشوهات الخلقية والامراض الوراثية وامراض الدم.. إلاانها تنطوى ايضا على عدد من المخاطر الكبيرة التي تضرب صميم كياننا الاخلاقي وتراثنا الديني مالم يجد لها علماؤنا الأفاضل الضوابط التي يمكن ان تحصن المجتمع الاسلامي من نشوة البحث العلمي التي يمثل - في هذه القضية بالذات - سلاحا ذا حدين نحاول ان ندفع به الأذى فإذا به يصيب في الصميم.

وقال انني لاادعي علما في هذا المجال التخصصي الدقيق لندوتكم، ولاأستطيع ان اشارككم بحوثكم ومناقشاتكم في هذا الموضوع الشائك، ولكن لتسمحوا لي فقط ان اضع امامكم بعض التساؤلات التي اثق في قدرتكم على الاجابة عنها:

اولا: ان علم الهندسة الوراثية، علم حديث نسبيا يغوص في اسرار الخلية الانسانية التي تنقل الصفات الوراثية من جيل الى جيل ويحدد بشكل كبير الصفات المميزة للشعوب والأمم.. كما انه يحمل العديد من الاحلام بتوليف انواع انسانية سوية متفوقة، كما يحمل مخاوف انتاج الانسان المشوه، وبالتالي الى خلق مجتمع دولي غير متوازن موزع بين فصيلتين احداهما للبقاء والسيادة والثانية للفناء والاندثار.

فهل قامت مؤسساتنا العلمية بواجبها تجاه مجتمعاتنا في هذا المجال؟ وهل خلقت نوعا من الادراك العام والتوعية بين الجماهير بهذا الوافد العلمي الخطير؟

ثانيا: نحن في معظم بلادنا العربية والاسلامية لانملك السياسات ولاالخطط العلمية الواضحة التي يمكن ان تتواءم مع هذه التكنولوجيات غير المالوفة ومتابعة تطوراتها المتسارعة باسلوب التخطيط الصحيح وتعبئة الموارد اللازمة بشريا وماديا من اجل اللحاق بهذا الابداع العلمي ونحن على اعتاب القرن الحادى والعشرين.

فهل نطمع في ان تكون لنا سياسات وطنية واضحة تستند الى العلم بما فيه من دراسات وابحاث وتجارب والى الايمان الذى يفجر الطاقات الكامنة في الانسان المسلم ليندفع بقوة العقيدة ليصنع الأعاجيب ويتخطى الحواجز ويبني الامجاد؟

ثالثا: لقد اثار علم الهندسة الوراثية جدلا واسع النطاق بين علمائه من جهة وبين رجال الدين والاجتماع من جهة اخرى، فالاسترسال في التجارب وتطبيق الاختبارات الحيوانية على الجينات الانسانية ربما يؤدى الى افساد الحياة الانسانية وتدمير الحضارة المعاصرة، ونحن - كما علمنا الاسلام- نعلم ان الانسان خلق بيد الله ونفخ فيه من روحه، واسجد له الملائكة وخلقه في احسن تقويم.. فلانقبل من هذا العلم ماتاباه الفطرة السليمة وتحرمه الديانات السماوية.

فهل يجوز لنا ان نرى في هذا العلم خطرا داهما على مستقبل الجنس البشرى، وميدانا خصبا لفلاسفة الغرب في غرس اهدافهم المتناقضة مع قيمنا وتراثنا الاسلامي؟ وهل من مدافع عن حقوق الانسان في البقاء مكرما كما اراده الخالق القدير؟

رابعا: يؤمن الانسان تمام الايمان بان الشفاء من عند الله، ولكن مع الاخذ بالاسباب التي امرنا بها الله من وقاية وعلاج وبحث وتخطيط وذلك بالاستخدام السليم لنعمة العقل التي منحها الله لنا.. والتي اوجب علينا في قرآنه العظيم ان نتعرف بواسطتها على آيات الكون وسنن الخلق حيث يشير القرآن دائما «لقوم يعقلون» و«لقوم يتفكرون» و«لقوم يعلمون» و«لاولى الألباب» و«اولى النهى».. ونجاح الانسان في ابحاثه انما هو هداية من الله لعباده المؤمنين.. «وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا ان هدانا الله».

فهل نجد من رجال العلم ورجال الدين من يبصر لنا الحقائق والامور في كل مايتعلق بعلم الهندسة الوراثية بشأن الانجاب الصناعي وجراحة التشوهات وزرع الاعضاء والاجهاض والعقم.. وغير ذلك من الاسئلة الحائرة التي تواجه الانسانية.

وباختصار شديد.. هل تجد ندوتكم هذه الضوابط التي تحكم عقال البحث العلمي في هذا المجال الخطير..

حضرات السادة الافاضل

تلك كانت بعض التساؤلات التي اعتقد واثقا ان ندوتكم ستعمق الاجابة عنها وعن غيرها من مسائل يساعد النظر فيها على بلورة تصور عربي اسلامي لمواجهة الآثار السلبية والانعكاسات الاخلاقية للابحاث المتقدمة في علم الوراثة على مجتمعاتنا العربية التي تؤمن بالاسلام منهاجا وبالقرآن دستورا، كما تؤمن بحق الانسان في ان يحيا كما اراده الله مكرما.

ان التقدم التكنولوجي غير الموجه وغير المنضبط يخلق اشكالا هائلة من المشاكل والمنغصات التي تظل دائما عاملا من عوامل عذاب الانسانية.

تحد مثير

وقال الدكتور ابراهيم النعيمي في كلمته ان العقد الأخير من القرن الحالي عقد مشهود في تنمية وتطوير التقنيات والتقدم في علوم البيولوجيا الجزيئية والوراثة التي بلغت ذروتها خلال السنوات الخمس الاخيرة، فاصبحت هذه العلوم في مقدمة العلوم البيولوجية، وظهرت انجازاتها واضحة من خلال الاكتشافات الاخيرة لطبيعة وعمل المادة الوراثية حتى اصبحت تشكل تحديا مشوقا ومثيرا يواجه جيلنا والاجيال القادمة لحل الكثير من المشاكل المستعصية، كما ان هذا التقدم في مجالي علم الاحياء وعلم الوراثة اصبح في نفس الوقت يشكل كابوسا مخيفا لما لهذه الابحاث من انعكاسات غير محمودة العواقب على الانسان والبيئة والمجتمع، وتتعاظم هذه المخاوف في المجتمع الاسلامي عادة لما له من خصوصياته القيمية والاخلاقية والمبادىء والمثل التي تشكل اساس المسلم وكيانه المعنوى ووجوده الفكرى والثقافي والاخلاقي والحضارى.

قد جاءت فكرة هذه الندوة لتلبي حاجة ملحة لشحذ همم القوى العلمية الخلاقة لتؤدى دورها للربط بين المنجزات الحديثة والمعقدة في مجالات العلوم المختلفة من جهة وبين التطلعات النبيلة والمشرقة للبشرية جمعاء لعالم يسوده الخير والامان، عالم يخلو من الاوبئة والامراض. وتلك هي رسالة هذه الندوة التي ارجو ان تضيف لبنة في تقريب وجهات النظر بين علماء الدين وعلماء الاحياء في عالمنا الاسلامي وتؤدى الى تفهم اعمق وادراك اوسع لاهمية ودور هذه المنجزات في تقدم البشرية.

وحيث ان البحوث المتقدمة في علم الوراثة لها مشاكلها الاخلاقية والاجتماعية، فقد كان لزاما علينا ان نواجه هذا العلم بحرص شديد وخشوع وباستخدام سبل التحليل الدقيق والمنسق.. فالبعض يخشى من ان يواجه الباحثون المتخصصون في البحوث الطبية الحيوية نفس المشكلات التي عاني منها علماء الفيزياء النووية بعد الحرب العالمية الثانية، فلقد تاسف الكثيرون ممن عملوا في بحوث الانشطار النووى - وبالتالي في القنبلة النووية - على مشاركتهم في هذا العمل وفوق كل ذلك، فإنهم تاسفوا على التعهد الخادع بالسرية التي منعتهم من مناقشة اعمالهم بصراحة ووضوح.. لذلك فإن هناك شكوكا قوية حول مسالة ترك وراثة الانسان في ايدى حفنة من العلماء، حتى ان هناك من يقول انه في غضون سنوات قليلة سنرى علماء الفيزياء النووية طلقاء بينما نرى علماء البحوث الوراثية وراء القضبان.

انه مما لاشك فيه ان الحماس الشعبي يتزايد، الاانه كما اسلفنا حماس مشوب بالخوف والحذر من كيفية استعمال هذه المعلومات الجديدة. لذا فإن الامل كبير في ان يسهم الافراد في المجتمع البشرى بصفة عامة والاسلامي على وجه الخصوص على تقييد الاتجاه العلمي الوراثي بقيود القيم والاخلاق والتشريعات الالهية والانسانية، وذلك عن قناعة وايمان. فالعمل الناجح يتبع الاقناع لاالمعرفة ويتطلب متابعة الجهد لايجاد الحلول في ضوء القيم الاسلامية ومقاصد الشريعة ومكارمها كما ان الدراسة الحيوية للاخلاق «اومايسمى الاخلاق الحيوية Bioethics» والتي تطورت في السنوات الاخيرة في علاقتها بالناس والمنافع والاستقلالية والعدالة يجب أن تدخل في اطار قانوني وتشريعي لحماية الناس والمجتمع. . .